خدمات الحج ومرافقه في القرن الثالث عشر الهجري من خلال كتابات الرحالة

أ.د. خالد حسين محمود حسين
كلية الآداب والفنون – جامعة حائل

ملخص البحث:

جذب الحجاز خلال القرن الثالث عشر الهجري /١٩م عدداً كبيراً من الرحالة على اختلاف أجناسهم لتأدية فريضة الحج والعمرة، وقد سجل هؤلاء الرحالة في متن مؤلفاتهم مشاهداتهم الشخصية لما عاينوه وعايشوه خلال هذه الرحلة وما دار بدواخلهم من تأملات وآراء وأحاسيس ومشاعر وما أثار إعجابهم، وهكذا تجسد تلك الرحلات بعض الحقائق المعرفية عن المرحلة التاريخية التي عايشها هؤلاء الرحالة. وقد آمن هؤلاء الرحالة بدورهم الكبير في تبيان طريق الرحلة المقدسة إلى الحجاز لمن يأتي من بعدهم، ولذا فقد اهتموا بشكل ملحوظ ببيان كيفية وإدارة رحلة الحج وتنظيم القوافل من قبل النظم و السلطات الحاكمة، منذ وصول قافلة الحج إلى حدود محيطها السياسي، وما تبذله من جهود في سبيل تيسير هذه الرحلة، وتذليل ما يقابلها من مخاطر ومصاعب، وكيفية استقبال هذه القوافل وتنظيم عملية سيرها، وامداها بكل ما تحتاج إليه من دعم مادي ومعنوي في سبيل أداء الفريضة. وانطلاقاً من ذلك تسعى هذه الدراسة للكشف عن جوانب تاريخية تتعلق بإدارة وتشغيل خدمات الحج الأمنية والصحية وغيرها من الخدمات العامة، خلال القرن الثالث عشر الهجري من خلال جمع ما تناثر في بطون كتابات الرحالة العرب والفرس والأتراك والأجانب وغيرهم، ورسم الخطوط الكبرى للموضوع، والخروج ببعض النتائج والملاحظات النقدية.

المقدمة:

حظي الحج وتنظيم مرافقه والخدمات المقدمة للحجاج باهتمام واضح من قبل السلطات المشرفة على الحجاز عبر التاريخ الإسلامي، وتعد مرحلة الحكم العثماني واحدة من المراحل المهمة في تاريخ هذه الخدمات والمرافق، حيث تم الاعتناء بالأمن والنقل والصحة والخدمات العامة وغير ذلك. إلا أنه لم تخصص دراسة منفردة بخصوص خدمات الحج ومرافقه خلال القرن الثالث عشر الهجري/19م، وهو ما شجع على دراسة الموضوع اعتماداً على كتابات الرحالة.

أهداف البحث:

- تأصيل عملية خدمة الحج ومرافقه تاريخياً.
- تسليط الضوء على كتب الرحالة وأهميتها في صياغة تاريخ الحجاز عامة وخدمات الحج على نحو خاص.
- تصويب الانطباعات الخاطئة الواردة في بعض كتب الرحالة حول الحج وشعائره وخدماته خلال فترة البحث.
- الكشف عن أهم خدمات الحج ومرافقه التي قدمتها الدولة السعودية الأولى (١١٥٧- ١٢٣٣هـ/١٧٤٤-١٨١٨م) للحجاج.
- الكشف عن جهود الدولة العثمانية في توفير خدمات الحج والاهتمام بالمرافق العامة في سبيل تسهيل أداء الفريضة أمام جموع الحجاج.
- رصد أهم خدمات الحج ومرافقه خلال القرن الثالث عشر الهجري/ 19م.
- بيان مدى تنافس الحكام والمتنفذين في العالم الإسلامي خلال فترة البحث في تقديم الخدمات للحجاج.

منهجية وطرق البحث:

فرضت طبيعة الموضوع وامتداده الزمني اعتماد الباحث على المنهج الوصفي، من خلال جمع المادة العلمية الواردة بكتب الرحالة حول الخدمات المقدمة للحجاج خلال فترة البحث، ثم تصنيف هذه النصوص حسب محاور البحث وأفكاره، مع مراعاة الترتيب التاريخي، والعرض الموضوعي، للوصول إلى النتائج التي خلصت إليها الدراسة.

نجح العثمانيون في السيطرة على إقليم الحجاز عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م حتى عام ١٢١٧هـ/١٨٠٢م ، حين نجحت الدولة السعودية الأولى في ضم الحجاز، فكلفت الدولة العثمانية محمد علي باشا باسترداده، والذي نجحت قواته في دخول الحجاز عام ١٢٢٦هـ/١٨١٨م، وبات هو المسؤول عن تعيين الأشراف منذ ذلك التاريخ حتى عام ١٢٥٦هـ/١٨٤٠هـ، حيث فرضت عليه في هذا العام شروط معاهدة لندن، وأُجبر على التخلي عن الحجاز ليعود مرة أخرى للسيطرة العثمانية المباشرة[١]. لا تعوذ القرائن الدالة على عناية القائمين على أمور الحج بشؤونه وخدماته ومرافقه باعتباره واجباً إسلامياً، فضلاً عن مكانته الكبرى في نفوس المسلمين، وهو ما تطلب بذل الجهد وإنفاق المال في سبيل تسهيل العقبات أمام الحجاج، وتوفير الخدمات وتطوير المرافق، لتتناسب مع هذا التجمع الإسلامي الكبير، فقد قدر أحد الرحالة[٢] أعداد الحجاج أواخر القرن التاسع عشر بما يزيد عن ١٠٠ ألف حاج. وكانت هذه الجموع تأتي إلى مكة ضمن قوافل الحج الشامي والمصري والعراقي واليمني[٣]. وهكذا بلغت عناية العثمانيين بشؤون الحج حداً كبيراً دفع بالرحالة بيرتون[٤] إلى القول بأن "الأرض المقدسة تستنزف الذهب التركي والدماء التركية بشدة". ولا أدل على ذلك من أنهم كانوا ينفقون خلال تلك الفترة مبلغ ١٠٥٠٠٠ قرشاً سنوياً على كل حرم من الحرمين الشريفين[٥]، فضلاً عن نفقات المصابيح والسجاد ودفع مرتبات للخطباء والمؤذنين والأئمة والمفتين والمكلفين بالإنارة والكناسين والسقاءين وموظفي المكتبات وموظفي المستشفيات... إلخ[٦]. كما مثلت الصرة الهمايونية تقليداً ثابتاً لدى سلاطين الدولة العثمانية، حيث حرصوا على إرسالها كل عام ولم يقبلوا بتأخيرها أو العبث بها[٧].وحرصاً على تيسير أمور الحج أوكل العثمانيون للأشراف مهمة استقبال الحجاج وتوفير الوسائل والخدمات التي تعينهم على تأدية الفريضة والنسك بكل سهولة وراحة، وشددوا على ذلك في رسائلهم التي كانوا يبعثون بها إليهم[٨].

يمكن رصد أهم الخدمات التي كانت تقدم للحجاج من خلال نص أورده الرحالة العياشي[٩] عدد فيه هذه الخدمات من "أسواق حافلة وجنود مجندة وملابس فاخرة وأطعمة شهية ومراكب هنية وبضائع غير معدودة ومتاجر ثمينة ونحر وذبح وإطعام طعام". و ورغم أن العياشي كان يسبق فترة البحث، إلا أن الخدمات التي ذكرها كانت موجودة في زمانه واستمرت لفترات لاحقة تشمل عصر الدراسة.وانطلاقاً من هذا النص يمكن تحديد أهم خدمات الحج ومرافقه فيما يلي:

أولاً: خدمات الأمن وسلامة الحجاج:

يستغرق مفهوم الأمن جوانب عدة تشمل الأمن على الحياة والأموال، وصيانة الأنساب والأعراض، وحفظ الأموال والممتلكات[١٠]. وقد أشارت المصادر على أن "ضمان استقرار وأمن الأقطار الحجازية وراحة وطمأنينة أهاليها وسكانها...وحقيقة الحال أيضاً أن تأكيد الأمن والاستقرار

---

[١] أيوب صبري باشا: مرآة جزيرة العرب، ترجمة وتعليق: أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسي، دار الآفاق العربية،القاهرة،١٩٩٩م، ص١١٦- ١١٧،حمد محمد القحطاني:"الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إقليم الحجاز"، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت،س٢٨،ع١٠٤، ٢٠٠٢م، ص٢٨٢.

[٢] يفيم ريزفان: الرحلة السرية للضابط الروسي عبد العزيز دولتشين إلى مكة المكرمة ١٨٩٨-١٨٩٩،دار التقريب بين المذاهب الإسلامية،بيروت،ط٢، ١٩٩٣م،ص١٥٠.

[٣] محمد بن عبد الوهاب المكناسي:رحلة المكناسي ١٧٨٥م،تحقيق:محمد بوكبواط،دار السويدي للنشر والتوزيع،أبو ظبي،٢٠٠٣م ،ص٢٦٢،حمد الجاسر:"في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج مع ابن عبد السلام الدرعي في رحلتيه"،مجلة العرب،ج٧-٨، س٩، محرم وصفر ١٣٩٥هـ،ص ٤٨٦.

[٤] محمد بن حسن الشريف:المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة،دار الأندلس الخضراء،جدة، ٢٠٠٠، ص٤٠٨.

[٥] محمد صادق باشا: الرحلات الحجازية، بدر للنشر والتوزيع، بيروت،١٩٩٩م،ص٢٢٢.. ٢٦٠. وذكر أن القرش يساوي سبعين فضة. مصدر سابق،ص٢٤٤.

[٦] أيوب صبري: موسوعة مرآة الحرمين الشريفين، أشرف على ترجمتها :محمد حرب،دار الآفاق العربية،القاهرة،٢٠٠٤..ج١،ص٥٩٦،روش: مصدر سابق ، ص١١١.

[٧] عايض بن خزام الروقي:"المصادر العثمانية وأهميتها في دراسة تاريخ الجزيرة العربية"، الدارة،العدد٢،السنة ٢٣، ١٤١٨هـ، ص٨٦.

[٨] ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة،١٩٢٥م،ج٢،ص٢، ٤١، عزة عبد الرحيم شاهين: خدمات الحج في الحجاز خلال العصر العثماني، دار القاهرة للنشر،القاهرة، ٢٠٠،ص١٩٩.

[٩] عبدالله بن محمد العياشي: الرحلة العياشية،تحقيق:سعيد الفاضلي وسليمان القرشي،دار السويدي للنشر والتوزيع،أبو ظبي،٢٠٠٦م، ج٢،ص١٧٩.

[١٠] ابراهيم الجوير: دور الأمن في نهضة المجتمع من منظور علم الاجتماع وأحداث التاريخ"،ضمن كتاب الأمن العام وأثره في بناء الحضارة، المركز العربي للدراسات الأمنية،الرياض، ١٤١٠هـ،ص١٧٢.

في هذه المنطقة لهو من الأمور المحتمة في ذمة الخلافة والسلطنة"[١١]. وتأكيداً لذلك وحرصاً على سلامة الحجاج اتخذ العثمانيون الإجراءات الاحترازية والعسكرية مع القبائل القاطنة على طريق الحج، عن طريق مراقبة أعمال هذه القبائل قبيل موسم الحج، والدخول مع رؤسائها في مفاوضات[١٢]، وتقديم أعطيات وهدايا لهم أملًا في كفاية خطرهم ودفع شرورهم[١٣]. كما أُنيط إلى بعض البدو القاطنين على طريق الحج مسئولية السلام والسيطرة على الطريق وإمداد قوافل الحج بالاحتياجات، مقابل مساعدات عينية ومالية[١٤]. وقد كانت قبائل حرب القاطنة بين المدينة المنورة وينبع مكلفة بمهمة نقل الأرزاق المرسلة من مصر إلى ميناء ينبع لتوزيعها على الفقراء[١٥]. ونظراً لقيام سلطة قوية متمثلة في إمارة آل رشيد في جبل شمر وعلاقة أمرائها الايجابية بولاة بغداد العثمانيين وحكومة بلاد فارس، فقد تولت مهمة حِفظ أمن طريق الحج العراقي، وتوفير خدمات الراحة للحجاج والقوافل التجارية[١٦]، وقدمت الدولة العثمانية لأمراء آل رشيد مقابل ذلك مساعدةً مالية سنَوية باسم الصرة السلطانية[١٧]. وشرع العثمانيون خلال القرن الثاني عشر الهجري/١٨م في تعيين أمراء الحج لحماية القوافل من تعرضها للهجمات[١٨]، وقد فصَّل بعض الرحالة الفرس في رحلاتهم للحج عام خلال القرن الثالث عشر الهجري/١٩م الحديث عن التنظيم العسكري المتعلق بالقوة العسكرية الخاصة بحماية قافلة الحج، وبيرقها، وعددها، ومهامها، وطريقة توزيع جنودها، ودور أمير قافلة الحج في إرشاد القوافل وسيرها[١٩].

عني العثمانيون كثيراً بإنشاء القلاع على طريق الحج وتحصينها وتزويدها بالجنود والأسلحة لتأمين الحجاج والمسافرين[٢٠]، وتم بناء الأسوار والقلاع العسكرية حول المدن الحجازية المهمة للحفاظ عليها من أخطار وهجمات القبائل البدوية[٢١]. وتعددت رسائل سلاطين العثمانيين إلى أشراف مكة يطلبون فيها ضرورة سلامة الحجاج الوافدين إلى الحجاز، وضمان عودتهم سالمين إلى أوطانهم[٢٢]. ولذا فقد أولى الأشراف قوافل الحجيج جل اهتمامهم، وعمدوا إلى بسط نفوذهم وتقوية صلاتهم مع البدو القاطنين على امتداد قوافل وطرق الحج المؤدية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، بهدف الحفاظ على سلامة الحجاج[٢٣]، ونشير هنا إلى تلك الرواية التي تذكر أن بعض الأشراف كان يشرف بنفسه أو يرسل من ينوب عنه على رأس القوات لتأمين قوافل الحج وتأديب أهل الفساد ممن عرفوا بإذايتهم للحجاج[٢٤]. وأشار محمد صادق باشا[٢٥] إلى اجتماع دعا إليه شريف مكة (عبد المطلب) أمراء وأمناء الحج ووالي مكة والمدينة وبعضا من أعيان مكة للتشاور في الاجراءات المستحسنة لوصول الحجاج آمنين مرتاحين إلى المدينة بعد انتهاء موسم الحج. وذكر كذلك دور أشراف مكة في تعقب العربان الذين يعتدون على قوافل الحج "لتأديبهم وتشتيتهم فاقتفوا أثر هؤلاء الأشرار وأسقوهم كؤوس الدمار"[٢٦]، كما أشار إلى جهود عثمان نوري والي الحجاز والتي كان من بينها أنه "بنى سور ينبع لمنع تعدي العربان على البلد وجملة تنظيمات"[٢٧]، وأنه شاهد ذات مرة كتاباً مع أحد

---

[١١] جودت باشا: "أحداث مكة أيام الشريف عبد المطلب بن غالب"، ترجمة:صالح سعداوي، مجلة دراسات العلوم الإنسانية، الأردنمج١٦،ع٣، ١٩٨٩م،ص١٢٠.

[١٢] بخصوص أهم هذه القبائل وخطورتها على قوافل الحج انظر : عزة شاهين:مرجع سابق،ص٢٠٢- ٢٠٧.

[١٣] شارل هوبير:رحلة في الجزيرة العربية الوسطى ١٨٧٨-١٨٨٢م، ترجمة إليسار سعادة، مطبعة ألف، بيروت، ٢٠٠٣م، ط١، ص١٣٢.، محمد صادق: مصدر سابق،ص٢٩٨.

[١٤] ليون روش: مصدر سابق،ص٨٦، محمد صادق باشا: مصدر سابق، ص٨٩،٨٥،١١٣.

[١٥] محمد صادق:مصدر سابق،ص٢٠٣،أيوب صبري:مصدر سابق،ص٢٧٨، اسماعيل حقي جارشلي: أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني، البصرة، مركز دراسات الخليج العربي،١٩٨٥م،ص٨٢.

[١٦] حسين حسني:مذكرات ضابط عثماني الأوضاع العامة في منطقة نجد، ترجمة وتعليق سهيل صابان، بيروت، مطبعة ألف،٢٠٠٣ م، ط١، ص ٥٥.

[١٧] سهيل صابان: "مخصصات القبائل العربية من واقع الصرة العثمانية لعام ١١٩٢هـ/١٧٧٨م"،مجلة جامعة الملك سعود (العدد٢٠،١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ص- ص ١-٢.

١٨ المكناسي:مصدر سابق،ص٢٦٥.

[١٩] خليف الصغير الشمري:جبل شمر في الرحلات الشرقية خلال العصر الحديث القسم الأول، نماذج من الرحلات الهندية والفارسية، الرياض، دار الثلوثية للنشر والتوزيع، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص ص٦٨ – ٧١.

[٢٠] شارل ديدييه: رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر،ترجمة: محمد خير البقاعي،دار الفيصل الثقافية، الرياض،٢٠٠١م،ص٢٢٨، ريتشارد بيرتون: رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز،ترجمة وتعليق:عبد الرحمن عبدالله الشيخ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٩٤.ج١،ص٢١٥،محمد صاق باشا:مصدر سابق،ص١٥٠-١٥١،أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا،حققه وعلق عليه:عبد الكريم الفيلالي،دار نشر المعرفة،الرباط،١٩٩١،ص١٨٦.

[٢١] روش: مصدر سابق،ص٥٥، ٦٢،محمد السنوسي: الرحلة الحجازية،تحقيق:علي الشنوفي،الشركة التونسية للتوزيع،تونس،١٩٨١،ج٢،ص١٦٠.

[٢٢] عزة شاهين:مرجع سابق،ص١٩٩.

[٢٣] حمد القحطاني: مرجع سابق،ص٢٩٤.

[٢٤] المكناسي:مصدر سابق،ص٢٦٢ ، محمد صادق باشا: مصدر سابق،ص٢١٥.

[٢٥] محمد صادق باشا: مصدر سابق،ص١١٤، ٣٥٣.

[٢٦] محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص ٢٢٧.

[٢٧] محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص٣٣١،٤٠٣.

الشرفاء يذكر أنه مندوب من شريف مكة للتوجه مع المحمل المصري "إلى المدينة ليحفظه من غدر ومكايد عربان الطريق كما هي العادة في كل عام"[٢٨]. كما حرصت السلطة العثمانية على إقامة عدد من المحطات والخانات على طرق الحجاج، وأسكنت بها بعض العشائر من أجل توفير الحماية والأمن، فضلاً عن إنشاء عدد من المخافر العسكرية على الطريق بين مكة وجدة، وتحصين مدينة ينبع، ووضع حامية عسكرية بها[٢٩].

أسهمت حكومة الدولة السعودية الأولى في تأمين حركة الحجاج، وهو ما أكد عليه بوركهات[٣٠] حين ذكر أن الصراعات السياسية والمواجهات الحربية التي شهدها الحجاز في بعض فترات الحكم العثماني تسببت في تعطيل حركة الحج وعزوف التجار عن إحضار بضائعهم لبيعها بالحجاز، لكنه مع الجهود الأمنية للدولة السعودية الأولى تعافت المدينتان المقدستان وعادت مواكب الحج. وأشار الرحالة دومينجو باديا[٣١].إلى جهود الجنود السعوديين في نشر الأمن داخل مكة خلال تأدية شعائر الحج، فضلاً عن انتشار الجنود لحماية قوافل الحجاج في طريقها من مكة إلى المدينة المنورة[٣٢] ، وأكد أن الإمام سعود بن عبد العزيز تدخل بنفسه أثناء وجوده بمكة لتأدية شعيرة الحج لإعادة ممتلكات قد سرقت من هذا الرحالة على يد بعض السلابة[٣٣]. وفي السياق ذاته تأتي شهادة الرحالة ليون روش[٣٤]الذي تحدث عن تشييد عدة أبراج بالمدينة المنورة لحماية الحجاج والأهالي من الاعتداء خلال فترة اتساع الدولة السعودية الأولى، والتي كانت منتشرة حول سور المدينة وتحتوي على فتحات. وأشاد بيرتون[٣٥] بدور السلفيين الذين كانوا ينتشرون على الطريق من المدينة إلى مكة لحماية الحجاج من اللصوص وكانوا يندفعون ورائهم في شجاعة كبيرة جعلت الرحالة يقول "أثار تصرفهم إعجابي". وذكر محمد صادق باشا [٣٦] أنه في عام ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م وصل مكة جيش كثيف بقيادة الإمام سعود حيث "حج مع الناس بالأمن وعدم الضرر ورخاء الأسعار". وعن أنصار الدعوة السلفية الذين عايشهم يقول الرحالة دومينجو باديا أنهم "لا يسرقون أبداً سواء بالقوة أو عن طريق الخديعة أوفياء لرؤسائهم، يتحملون كل ألوان المعاناة..لا يتراجعون أمام أي خطر أو صعوبة"[٣٧]. وهكذا، أشاد بعض الرحالة بما لامسوه من تلك الجهود الأمنية التي أشاعت حالة من الأمن والطمأنينة، فقد سجل المكناسي[٣٨] إعجابه بما عاينه أثناء طريقه من مكة إلى المدينة من كثرة الجنود المنتشرة لحماية الحجاج وصد غارات الأعراب عنهم. وأشاد بيرتون[٣٩] بدور شريف مكة زيد في حماية الحجاج من اللصوص حتى أنه اعتبره نموذجا للعربي الخالص لقد كان مشهورا بالشجاعة. ونوه محمد صادق باشا [٤٠] إلى رحلته للحجاز عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م والتي كانت في "غاية الانتظام والأمن والراحة". كما أشاد في موضع آخر بالجهود التي تبذلها السلطة لتحصل بها "زيادة الأمنية ويتم للحاج..كمال السرور وبلوغ الأمنية...واطمئنان الحاج بالاجتماع مع المحمل وعساكره المستحفظين فإن للعساكر عند العربان هيبة ترد مساعيهم السيئة"[٤١]، كما أشار إلى مجلس حضره في منزل الشريف عون والذي تحدث فيه الجالسون في شأن مرور الحجاج " في طريقهم مع الأمن"، بسبب ما تبذله الحكومة من جهود كان من أبرزها إرسال أمير مع الحجاج "ذا دراية بالطرق ومعرفة برؤساء قبائل العرب وعوائدهم وطبائعهم ليتألفهم ويسترضيهم شيئاً فشيئاً فيعتمدوه ويتكفلوا له بمرور المحمل من طريقهم مع الأمن"[٤٢]. وإمعاناً في حماية الحجاج من تعدي اللصوص، كان

---

[٢٨] محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص٣٦٣

[٢٩] روش: مصدر سابق،ص٥٤،سعد بن عودة الردادي:أمن الحج قبل العهد السعودي، دار المآثر، المدينة المنورة،٢٠٠١م، ص٢٣٤.

[٣٠] بوركهارت: ترحال في الجزيرة العربية،ترجمة: صبري حسن، المركز القومي للترجمة،القاهرة،٢٠٠٧م،ج١،ص٣٧.

[٣١] رامون مايراتا: علي باي العباسي مسيحي في مكة،ترجمة: رفعت عطفة،ورد للطباعة والنشر، دمشق،١٩٩٩،ص٢٣٣.

[٣٢] رامون مايراتا: مصدر سابق،ص٢٣٧.

[٣٣] رامون مايراتا: مصدر سابق،ص٢٣٨.

[٣٤] روش: مصدر سابق،ص٥٥، ٦٢.

[٣٥] محمد الشريف:مرجع سابق،ص٥٢٢.

[٣٦] محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص٣٩٣...

[٣٧] عبد الحفيظ حمان:" الحياة العامة في بعض مدن الحجاز في بداية القرن التاسع عشر من خلال رحلة دومينجو باديا (علي باي العباسي)"، الدارة،العدد الثاني، ربيع الآخر ١٤٢٣هـ،السنة ٢٨، ص١١٢.

[٣٨] مصدر سابق،ص٢٨٣.

[٣٩] محمد بن موسى الشريف: مرجع سابق، ص٥٢٢.

[٤٠] الرحلات الحجازية،إعداد وتحرير:محمد همام فكري،بدر للنشر والتوزيع،بيروت،١٩٩٩،ص٣٣.

[٤١] محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص١٥١-١٥٢.

[٤٢] محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص٣٦٣.

يتم تنفيذ أقصى العقوبة على اللصوص الذين يسرقون أموال الحجاج، حيث ذكر بوركهارت[٤٣] أنه شاهد أثناء مقامه بمكة رجلاً يُقص عنقه بناءً على حكم القاضي لأنه سرق من حاج تركي مائتي جنيه انجليزي. وبسبب تلك الإجراءات الشديدة، والعقوبات الرادعة، باتت ظاهرة سرقة الحجاج مدن الحجاز نادرة الحدوث حسب شهادة الرحالة ريزفان [٤٤]. يبدو أن سيادة الأمن كانت قاصرة على الطريق من مكة وإليها، حيث كانت آمنة لا يخشى فيها الحجاج لصاً ولا قاطع طريق، خلافاً للطرق المؤدية إلى المدينة والطائف، والتي عاني فيها الحجاج من كثرة اللصوص وقطاع الطرق، والذين خلقوا الرعب لدى قوافل الحج، وانتزعوا الإبل والأموال من المسافرين[٤٥]. ولذا جرت العادة ألا يتنقل الحجاج خلال هذه الطرق إلا بحراسة خفر خاص نظراً لمخاطر الطريق[٤٦]، كما كانت أعداد الحجاج الذين يقررون زيارة المدينة المنورة بعد الحج قليلاً جداً نظراً لمخاطر الطريق الكبيرة[٤٧].

ثانياً: الخدمات الصحية:

تسببت عدة عوامل في انتشار بعض الأوبئة والأمراض بين الحجاج في مواسم الحج خلال فترة الدراسة، منها ضعف الوعي الصحي وقضاء الحاجة بشكل عشوائي[٤٨]، وازدحام الشوارع والمنازل بالحجاج، الأمر الذي أتاح الفرصة لانتشار الأمراض بينهم[٤٩]، ،وضيق الطرق الداخلية بمكة[٥٠]،وازدحامها بالمارة وانتشار الأوساخ والنفايات بها[٥١]، وعدم تغطية أحواض المياه مما عرضها للتلوث[٥٢]، وتعرض جثث ذبائح الأضاحي للتعفن وتغير الجو[٥٣] ، مما أدى إلى إصابة الحجاج بالحمى[٥٤]. وهكذا انتشرت عدة أمراض بين الحجاج في موسم الحج، كالنزلة الشعبية والاحتقانات الدماغية وأمراض العين والكبد وأمراض القناة الهضمية والتهاب المعدة والبواسير والحميات والكوليرا والجدري والتيفود والنقرس وتورم الأقدام وغيرها[٥٥].

وحرصاً على سلامة الحجاج من هذه الأمراض والحد من انتشارها وانتقالها تم اتخاذ عدد من الاحتياطات الصحية، كان من أهمها عمل حفر كثيرة بعيدة عن أماكن إقامة الحجاج لنحر الأضاحي تفادياً لتلوث الهواء وانتشار الأوبئة[٥٦]، وتعرض المخالفون لذلك للمحاكمات[٥٧]، والتشديد على اتساع نوافذ المنازل المعدة لاستقبال الحجاج[٥٨]، وإتلاف جميع المأكولات المشتبه فيها[٥٩]. واجتهد مأمورو الصحة في أيام منى لمنع إلقاء لحوم الأضاحي على الطرق، وقاموا بطبع المنشورات لهذا الغرض، وأعدوا عربات لحمل القاذورات أولاً فأول[٦٠]. كان من أهم الاجراءات الطبية الوقائية إنشاء المحاجر الصحية على مداخل الحجاز البرية والبحرية، والتي وصُفت بأنها في غاية النظام، يعمل فيها عدد

---

[٤٣] بوركهارت: مصدر سابق، ج١، ص١٥٢.

[٤٤] ريزفان:مصدر سابق،ص١٥٩.

[٤٥] بوركهارت: مصدر سابق،ج١،ص١١٧، روش:مصدر سابق،ص ص٥٣، ريزفان:مصدر سابق،ص٢٠٦،أيوب صبري: مرآة جزيرة العرب،ج١،ص ١٦٣، محمد صادق باشا: مصدر سابق،ص١١٦،٢٢٦،عبدالخالق المفضل احمدون :"الرحلة الحجازية الصغرى لابي عبدالله محمد بن عبدالسلام بن ناصر الدرعي : قيمتها العلمية والتاريخية "،ضمن بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية (الرياض ٢٤-٢٧ رجب ١٤٢١هـ/ ٢١-٢٤ اكتوبر ٢٠٠٠ م)،ص٢٣٤.

[٤٦] ريزفان:مصدر سابق،ص٢٠٥، السنوسي:مصدر سابق،ج٢،ص٢٠٣، محمد صادق: مصدر سابق،ص٢٢٠.

[٤٧] ريزفان:مصدر سابق،ص٢١٢.

[٤٨] ريزفان:مصدر سابق،ص٢٠٨، محمد صادق:مصدر سابق،ص٢٤٤.

[٤٩] بوركهارت: مصدر سابق، ج١، ص١٣٠.

[٥٠] محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص١٣٢٣.

[٥١] ريزفان: مصدر سابق،ص١٤٤، ١٥٧،بوركهارت: مصدر سابق، ج١، ص١٦٣

[٥٢] بوركهارت: مصدر سابق، ج١، ص١٤٠، محمد صادق باشا: مصدر سابق، ص١٧٨، ١٧٩.

[٥٣] محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص٣٤٣.

[٥٤] السنوسي:مصدر سابق،ج٢،ص١٧٩، عبد الغني شهبندر: رحلة الحجاز، بيروت،د.ن،١٩٣٧،ص ٧٨-٨٤.

[٥٥] المكناسي:مصدر سابق،ص٢٨٢، بوركهارت: مصدر سابق، ج١، ص١٢٠،ى ١٣١،ريزفان:مصدر سابق،ص١٥٩،شارل ديدييه: مصدر سابق،ص١٦٢،السنوسي: مصدر سابق،ج٢، ص٢٠٤،عبد الغني شهبندر: مصدر سابق،ص٧٨-٨٩، أحمدون:مرجع سابق،ص٢٤٨،جولدن صاري يلدز:الحجر الصحي في الحجاز ١٨٦٥-١٩١٤م،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،الرياض،٢٠٠١م،ص٤٣.

[٥٦] ريزفان:مصدر سابق،ص٢١٠، محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص١١٢.

[٥٧] ريزفان:مصدر سابق،ص٢١١.

[٥٨] بوركهارت: مصدر سابق، ج١، ص١٣٧.

[٥٩] بوركهارت: مصدر سابق، ج١، ص١٢٠،ى ١٣١.

[٦٠] محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص٣٤٣.

من أمهر الأطباء الذين يتم استدعائهم من مصر والأستانة ليقيموا فيها مدة الحج[٦١]. وقد بدأ ظهور المحاجر الصحية بالمعنى الحديث في المنطقة خلال الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري/١٩م بسبب انتشار الكوليرا في مواسم الحج، فمع انتشار مرض الكوليرا في الحجاز عام ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م رأت السلطات المصرية ضرورة إقامة محجر صحي في الطور، والذي كان مخصصاً بالحجاج الذين يسلكون طريق الطور، وقد وصف هذا المحجر بأنه أنشئ على شكل طائر كبير في البحر وبسط جناحاه في البر، وفي رأسه مستشفى للأمراض الوبائية وفي عنقه أربعة مستشفيات للجراحة والأمراض العادية، في خارجه منزل رئيس المحجر وخزانات المياه. كما أسس محجر صحي في جدة في العام ذاته ليكون مركزاً لجميع المحاجر التي تقام على السواحل اليمنية والحجازية للبحر الأحمر[٦٢]. لم يكن اختيار مكان الحجر الصحي يتم بشكل عشوائي، ولكن روعي في ذلك عدة معايير، واتخذت اجراءات متنوعة، كان من بينها إمكانية رسو السفن في الحَجْر بيسر وأمان، واتقاء الرياح، وسعة الميناء، وملائمة المناخ، وسهولة توفير احتياجات المحجر من المياه، وكان من أهم هذه المحاجر : "الطور" و"قمران" و "أبو سعد" و " الواسطة" بهدف الحد من الأمراض الوبائية عن طريق الكشف الصحي على القادمين للحج أو المغادرين من الأراضي الحجازية، وكان يحتوي المحجر على أجنحة مخصصة للمصابين بأمراض وبائية، وتشرف عليهم هيئة مؤلفة من مفتش وأربعة أطباء وصيدلي وأربعة محررين وكاتبين وخمسة حراس، وفي مواسم الحج تزداد أعداد الأطباء والصيادلة، وكانت إقامة الحجاج بعيدة عن تلك الأجنحة، ومحاطة بأسوار ومزودة بأجهزة اتصال[٦٣]. لم يقتصر الأمر على المحاجر البحرية وإنما تم إنشاء محاجر صحية برية للحجاج القادمين من الشام، حيث أقيم محجر صحي في قلعة الوجه شمالي مدينة جدة، واتخذت من خلاله جميع التدابير اللازمة للحيلولة دون انتشار الأوبئة ولا سيما الحجاج القادمين من الشام والأستانة.[٦٤].

اعتنت السلطة بالمؤسسات العلاجية؛ حيث أسس العثمانيون مستشفى الغرباء عام ١٢٧٨هـ/١٨٦٢م - بجوار مدرسة خاصكي سلطان المعروف بـ"خرم سلطان" زوجة السلطان سليمان القانوني- بقرار من لجنة طبية أرسلت إلى الحرمين الشريفين، وكان يقدم للمرضى الطعام من رباط متصل بالمستشفى، وأسندت إدارة المستشفى إلى محمد أفندي من أطباء الدولة العثمانية، وكانت السلطانة بزم عالم أم السلطان عبد المجيد خان تتولى عملية الإشراف على إرسال الأطباء والأدوية إلى تلك المستشفى، وكانت سعة المستشفى خمسين سريراً، وقم تم إمداد المستشفى بالماء من خلال أنابيب حديدية من أحد خزانات الماء فوق سوق الليل، وركبت في مطبخها وحمامها ومغسل ملابسها صنابير كبيرة دائمة الجريان[٦٥]. كما تم إنشاء مستشفى بحي أجياد بعدد ٣٠ سريراً، وإن اتسعت لاستقبال ٦٠ مريضاً، وكان يعمل فيها طبيبان وصيدلي، ووصفت مفروشاتها بأنها جيدة، ويتلقى فيها المرضى طعاماً جيداً[٦٦]. وفي عام ١٣٣٠هـ،/١٩١٢م أرسلت الحكومة العثمانية عدداً من الأطباء للعناية بشؤون الحج، كما أنشأوا صيدلية بمكة عرفت باسم "حجازة أجزخانة سي"[٦٧]، وبجانب هذه الصيدلية الحكومية كان هناك صيدليتان خاصتان صغيرتان[٦٨].. ويشير أيوب صبري[٦٩] إلى تحويل دار أبي سفيان بمكة إلى مستشفى للغرباء في عصر السلطان عبد الحميد. في منى تم إنشاء مستشفى بسعة ٤٠ سريراً وألحق بها دائرة صحية، وتم تجديد المستشفى في عهد السلطان عبد الحميد، وكانت عملية الكشف على المرضى والأدوية مجاناً، ويقوم السلطان بتسديد مصاريف المستشفى، وكان يرفع على المستشفى العلم في النهار ويعلق عليه ليلاً شمعة حمراء لإرشاد المرضى إلى موقع المستشفى[٧٠].

---

[٦١] ريزفان:مصدر سابق، ص٢١٤، السنوسي:مصدر سابق،ج٢،ص٢٨١.

[٦٢] عايض بن خزام الروقي:" المنشآت الطبية في الحرمين الشريفين خلال العهد العثماني:دراسة تاريخية وثائقية"، الدارة، مج٢٢، ع٨٨، ٢٠٠٤م، ص٣٢-٣٥.

[٦٣] محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص١٤٤، ٢٣٨، يلدز: مرجع سابق،ص ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣١، ١٣٤.

[٦٤] عايض بن خزام الروقي:مرجع سابق،ص٣٦.

[٦٥] أيوب صبري: مرآة الحرمين،ج١،ص٦٤٣، ٨٨٠، ٨٨٣.

[٦٦] ريزفان:مصدر سابق،ص١٥٩.

[٦٧] محمد عمر رفيع:مكة في القرن الرابع عشر الهجري،نادي مكة الأدبي والثقافي،مكة،١٩٨١م،ص٢٢٨-٢٢٩.

[٦٨] ريزفان:مصدر سابق،ص١٥٩.

[٦٩] مرآة الحرمين،ج٢،ص٨٣٤.

[٧٠] أيوب صبري:مرآة الحرمين،ج١ ص١٠٣٦-١٠٣٧.

كما اعتاد العثمانيون إرسال الأطباء إلى الحجاز في مواسم الحج لرفع التقارير عن الحالة الصحية، ونشير هنا إلى الطبيب قيصر لي شاكر الطبيب العسكري الذي كان يشغل رتبة قائم مقام في مستشفى حيدر باشا في استانبول والذي تم إرساله خلال فترة البحث في مهمة رسمية من قبل السلطان العثماني إلى الحجاز، فكتب كتاباً تحت عنوان "تقرير طبي عن بعض المشاهدات والملاحظات في الأحوال العامة في الحجاز وإصلاحاتها الأساسية الحاضرة" ركز فيه على النواحي الصحية وتحدث عن مشاهداته واقتراحاته ومنها تطوير الخدمات الصحية والاهتمام بصحة الحجاج والأهالي واتخاذ التدابير اللازمة للحيلولة دون انتشار الأوبئة في مكة والمشاعر المقدسة، وضرورة إرسال بعثات طبية مختلطة من الدولة الإسلامية في كل عام مع حجاج تلك الدول وأشار إلى أهم الأمراض التي تنتشر بين الحجاج وأسبابها، وكيفية الوقاية منها[٧١]

اعتادت الحكومة المصرية إرسال صيدليات بصحبة المحمل يرافقها طبيب وصيدلاني وممرض وإرسال أطباء لمتابعة الأوضاع الصحية بمنى، يحملون معهم صناديق مملوءة بالأدوية، وفضلاً عن قيامهم بنشر الوعي الصحي بين الحجاج وطرق الوقاية من الأمراض، فإنهم قاموا بإرسال نشرات تشمل الوضع الصحي في موسم الحج وعدد الوفيات وأسباب الوفاة وأهم الأمراض التي تحدث عادة خلال الموسم، وبلغ ما كان يصرف لهذا الغرض عشرة آلاف وتسعمائة وأربعة وعشرون قرشا[٧٢]. وجرت العادة أن ينطلق مع جموع الحجاج إلى عرفات الفريق الطبي المرسل في مأمورية لزمن الحج مع صيدليته ومع لوازم التطبيب والاستشفاء[٧٣].

وفي المدينة المنورة تم بناء مستشفى لعموم أهالي المدينة والحجاج عام ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م وخصص لها ما يلزمها الأطباء والجراحين والصيادلة و الخدم ، وألحقت بها صيدلية ومخزن أدوية وخصصت لها الأدوية الطبية واللوازم الجراحية[٧٤]. كما أشار القائمقام الدكتور قيصر لي شاكر في تقريره باللغة العثمانية عن أمر سلطاني من السلطان عبد الحميد الثاني بخصوص إنشاء مستشفى بالمدينة المنورة، حيث تم تشكيل هيئة طبية اختارت مكاناً عند باب الحميدي وأوصت بإنشاء المستشفى في هذا المكان وتم تسليم التقرير لمحافظ المدينة المنورة للشروع في تنفيذ إنشاء المستشفى[٧٥].

ومع انتشار وباء الكوليرا في مكة المكرمة[٧٦]عام ١٢٨١هـ/١٨٦٥م وانتشارها بين الحجاج عقد المؤتمر الصحي الدولي الثالث في استنبول عام ١٨٦٦م لدراسة الحالة الصحية في البحر الأحمر والولايات العثمانية ومنها الحجاز وخرج المؤتمر بمجموعة من القرارات كان من أهمها :تأسيس محاجر صحية على سواحل البحر الأحمر، وتشكيل هيئة تكلف بخدمة الضبط الصحي بمكة المكرمة[٧٧]. فضلاً عن استخدام العزل الصحي للحجاج وللسفن التي يشك في وجود حالات كوليرا عليها[٧٨]، ونتيجة لتلك الجهود كان عدد الحجاج الذين يتعرضون للوفاة بسبب الظروف الصحية قليل للغاية[٧٩].

وهكذا أكد محمد صادق باشا[٨٠] أن السلطة القائمة على شؤون الحج "أدت وظيفتها السنية وقامت بواجبات الصحة العمومية".

ثالثاً: خدمة نقل الحجاج.

نظراً لكثرة الصخور التي حالت دون اقتراب البواخر من شواطئ جدة كان يتم ارسال أكثر من ٢٠ زورقاً شراعياً كبيراً لاستقبال الركاب، وتلافياً للحوادث المؤسفة كانت تخصص زوارق لنقل الأمتعة وأخرى لنقل الحجاج الذين يدخلون عند وصولهم خياماً أعدت لاستقبالهم،

---

[٧١] عايض الروقي: المصادر العثمانية،ص٤٩-٩٥.

[٧٢] محمد صادق: مصدر سابق،١١٢-١١٣، ٣٤٤.

[٧٣] ريزفان:مصدر سابق،ص٢٠٧.

[٧٤] أيوب صبري: مرآة الحرمين،ج١،ص٤٩٦.

[٧٥] عايض بن خزام الروقي: مرجع سابق، ص٢٨.

[٧٦] تذكر جولدن يلدز أن منطقة الحجاز تعرضت لمرض الكوليرا اثنين وعشرين مرة خلال الفترة ١٨٣١-١٩١٦م ، تتعاقب أحياناً عاماً بعد عام وقد تظهر في فترات تصل إلى عدة سنوات. :مرجع سابق،ص١٣٩-١٥٦.

[٧٧] جولدن يلدز:مرجع سابق،ص٤٧.

[٧٨] وليد جميل: مرجع سابق،ص٢٥٣.

[٧٩] ريزفان:مصدر سابق،ص٢١١.

[٨٠] محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص ٢٣٨.

كانت تحاط بحواجز خشبية يسير بمحاذاتها حراس لحراسة الحجاج ومرافقتهم، وفي الخارج كان البدو مع جمالهم في انتظار من يستأجرهم[٨١].

وكان للمتعهدين (الحمالين) الذين يقومون بنقل الحجاج دورٌ كبير في خدمة قوافل الحج، فقد كان على كل متعهد توفير خيام الحجاج وأكلهم وشربهم، وحَمْل أغراضهم، وطبخ طعامهم وقوتهم في منازل الطرق، وكان يؤخذ عليهم تعهُّدات صارمة بأن يُعامِلوا الحجاج معاملة طيبة، ويُوفِّروا لهم المركب المريح في الذهاب والعودة[٨٢].وكان من أهم وسائل نقل الحجاج فترة البحث الإبل في المسافات البعيدة، والحمر الأهلية في الاتصال المباشر بين المدن وفي التنقل بين المشاعر[٨٣]. ويصف محمد صادق باشا[٨٤] هذه الحمير بأنها "معدة للأجرة حصاوي شداد بدون لجام ولا ركاب..وأصحابها لهم الصنعة التامة في شد عفش المسافر بالراحة التامة"، وذكر أنه قطع المسافة من جدة إلى مكة بعد ١٢ ساعة منها ساعة ونصف استراحة بالمحطات. وكانت المقاهي بمكة المكرمة تضج بسماسرة القوافل الذين يؤجر البدو من خلالهم الإبل المستخدمة لتنقل الحجاج إلى جدة والمدينة المنورة[٨٥].وفي بعض الأحيان كانت تتدخل السلطة من أجل تخفيض أجرة تنقل الحجاج، حيث كانت أجرة الجمل من ينبع إلى المدينة خلال فترة البحث عشرة ريالات مجيدية في الذهاب فقط[٨٦]وكانت السلطة تجتهد في إنارة الأماكن التي تؤدى فيها مناسك الحج بمصابيح كثيرة[٨٧]،وتتكفل بنقل الحجاج الذين انقطعت بهم السبل بسبب الفقر أو سلب نقودهم ايماناً منها بأن "من أهم واجباتها إعانة الضعيف وإغاثة الملهوف"[٨٨].كما نالت طرق الحجاج عناية خاصة حيث تم تعبيدها لتسهيل حركة السير، وتم ترميمها والاهتمام بنظافتها ووضع علامات يهتدي بها الحجاج على امتداد الطرق[٨٩].

رابعاً: خدمة توفير المياه:

نظراً لأهمية الماء وتفادياً لتكرار حالات وفاة بعض الحجاج بسبب العطش، أبدى القائمون على أمر الحج اهتماماً بالغاً بتوفير المياه للحجاج حيث تم إنشاء خزانات للماء المطلوب لإعاشة الحجاج على طريق القوافل، حيث تم تعمير وترميم سواقي قلعة نخلة، وعجرود، وحفر آبار جديدة بطريق الحاج، وخصم لهذا الغرض مبلغ ثمانية أكياس من الخزينة الإرسالية للسلطان في عام ١٢١١هـ/١٧٩٦م[٩٠]. وتسهيلاً على الحجاج ، جرت العادة بإرسال الثيران في كل عام في موسم الحج مع لوازم السواقي لاستخراج الماء من الآبار "مدة طلوع ونزول الحجاج ثم ترجع الأثوار إلى مصر مع الحج المصري"[٩١]. كما جرت العادة أن يتم إرسال مبالغ من المال لأجل نزح وتطهير صهاريج الماء الموجودة في طريق الحاج، من خلال عدد من السقائين المتوظفين للحاج[٩٢]، وكان يتم محاسبة هؤلاء محاسبة قاسية حال تفريطهم في أعمالهم بعدم تطهير ونزح الآبار التي في طريق الحجاج[٩٣]. كما تم الاهتمام ببرك الماء والخزانات على طول طريق الحاج القادم من الشام إلى الحجاز، فكان هناك بركة خاصة بالقافلة المصرية وبركة خاصة بالقافلة السورية، وكانت تصل مساحة الواحدة منها ١٦٠ قدماً مربعاً بعمق يصل إلى ٥٠ قدماً، وكانت متينة من الناحية الإنشائية، مبطنة كلها بالحجر وتجري صيانتها بصورة مستمرة[٩٤]. ولتوفير المياه لقافلة الحجاج القادمة من اليمن

---

[٨١] ريزفان:مصدر سابق،ص٢٠٤.

[٨٢] حسني:مصدر سابق،ص٥٥.

[٨٣] روش: مصدررر سابق،ص١٣٠.

[٨٤] محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص٣٠٨.

[٨٥] بوركهارت: مصدر سابق، ج١، ص١٤٤.

[٨٦] ابراهيم رفعت: مصدر سابق،ج٢،ص٤٨.

[٨٧] المكناسي: مصدر سابق،ص٢٦٦.

[٨٨] ابراهيم رفعت: مصدر سابق،ج٢،ص٥.

[٨٩] بوركهات: مصدر سابق،ج١،ص٩٠، بروش:مصدر سابق، ص٦٥، ١٠٣،أحمد الرشيدي: حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحج، تحقيق: ليلى عبد اللطيف، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٠،ص٣٢، سعد بن عودة الردادي:مرجع سابق،،ص٢٣٤.

[٩٠] انظر تحقيق ليلى عبد اللطيف لكتاب حسن الصفا والابتهاج، ص٢١.

[٩١] محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص٧٨.

[٩٢] محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص٨٨..

[٩٣] محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص١١٩.

[٩٤] بوركهارت: مصدر سابق، ج١، ص١٦٤.

تم انشاء خزان حجري كبير على بعد ميل ونصف جنوب مكة عرف ببركة ماجن بهدف حفظ ماء المطر وتجميعه[٩٥]. كان من أبرز اهتمامات السلطة العثمانية بمسألة توفير المياه هو العناية الشديدة بعين زبيدة أو عين حنين، باعتبارها أهم مصدر للمياه في مكة المكرمة، وقد تجلى هذا الاهتمام منذ فترة مبكرة من وجود العثمانيين بالحجاز، حيث يشير العياشي أن ماء هذه العين وصلت مكة :"في دولة بني عثمان ملوك العصر من التركمان وقد شاهدنا في بنيان هذه الساقية ما يدل على فخامة ملكهم وقوة اعتنائهم بأمر الحرمين فكلما مررنا غلوة أو غلوتين وجدنا عيناً منها مفتوحاً عليه بناء وثيق ووجدنا الفعلة في وقتنا جادين في إصلاح ما وهي من بنائها وكنس ما تهور من أرجائها"[٩٦]. وبلغت عناية السلطة بهذه العين اهتماماً كبيراً، حيث تم الاعتناء الشديد بإصلاح مجراها بشكل دوري، وعملت لمجرى العين صنابير لتسهيل حصول الحجاج والأهالي على المياه[٩٧]، وكان يتم إرسال مهندسين لهذا الغرض من الأستانة[٩٨] ومصر، حيث ذكر محمد صادق باشا[٩٩] أنه في عام ١٢٩٧هـ تم إرسال ٢٥٠٠٠ جنيه مع أحد معاوني الداخلية وبرفقته أحد المهندسين المشهورين لمشاهدة العمارة الجارية بقناة العين، وقد شاهد بنفسه القناة "مبنية بناء متيناً من مكة إلى عرفات"، كما أنه وجد "تعميرها صار إتمامه حتى أن الماء كثر بمكة وجهاتها".

وكان يتم توصيل الماء إلى قلب مكة من خلال أنبوب واسع مركب من أحجار مشدودة بالكلس، وبلغت نقاط استقاء الماء بها ٤٠ نقطة[١٠٠]. ويذكر بوركهات[١٠١] أن أمراء مكة قاموا باستحداث أربع عيون إلى مجرى النومان المائي وهي : البرود وزفران وميمون وعين مشاش، كما قاموا بجلب المياه من الآبار والينابيع والصهاريج التي تتجمع فيها مياه الأمطار من خلال قنوات اصطناعية ، ليتم توزيعها من خلال نوافير مخصصة لمنحها للحجاج في أماكن تأدية شعائر الحج[١٠٢]. وحسب شهادة محمد صادق باشا[١٠٣] فقد ظهرت في جدة عين ماء عذب فقام والي الحجاز عثمان باشا نوري بوضع مجاري تحت الأرض حتى أوصلت الماء إلى حوض كبير كمخزن بخارج البلد ومنه توزعت بواسطة مواسير متفرقة إلى داخل البلد لسبعة أحواض بحنفيات كافية لشرب أهالي البلد وزيادة حتى تم الاستغناء عن ماء الصهاريج. وقد عدد صادق باشا[١٠٤] مآثر عثمان بن نوري فذكر أنه "جدد حنفيات للوضوء بمحلات قريبة من الحرم وأحواضاً وصهاريج من الحارات للأهالي تأتي إليها من قناة عين زبيدة وأنشأ عين رغامة بجدة وهي من أكبر المآثر للحجاج وأهل البلد". ويذكر أيوب صبري[١٠٥] أنه أقيم في مكة تسعة صهاريج احتياطية وعدد من خزانات المياه ذات الصنابير، حيث بلغت سعة الصهريج ١٥٠ مترا مربعا. وهو ما كان له نظيراً بالمدينة المنورة حسب شهادة ليون روش[١٠٦]..كما تحدث أيوب صبري عن إصلاح القناة التي كانت تنقل ماء بئر زمزم إلى خارج المسجد الحرام خلال الفترة ١٢٩٥-١٢٩٧هـ/١٨٧٨-١٨٧٩م، ثم تم عمل مكان تتجمع فيه هذه المياه لسقيا الناس، وتم إنجازه بعد أربعة أشهر على يد ٣٠٠ عامل[١٠٧]. فضلاً عن ذلك عددت لنا المصادر بعض الأسبلة التي بنيت خلال فترة البحث، ففي عهد السلطان محمود خان (١٢٢٣-١٢٥٥هـ/١٨٠٨-١٨٣٩م) أنشئ سبيل إلى جوار بئر في شمال مكة، وفي عام ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م خلال عهد السلطان عبد المجيد تم إعادة بناء الأسبلة الواقعة قرب مسجد العمرة، وفي عام ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م تم إنشاء سبيل على حدود مكة من الجهة الغربية[١٠٨]. كان بالقرب من المروة سبيل من أعمال الخليفة العثماني سليمان بن سليم يجري إمداده بالماء من مجرى مكة المائي وهو يزحم طوال اليوم بالحجاج الذين يأتون لملء

---

[٩٥] بوركهارت: مصدر سابق، ج١، ص١٤٨.

[٩٦] العياشي::مصدر سابق،ج٢،ص١٦٧.

[٩٧] أيوب صبري:مرآة الحرمين،ج١،ص٦٢٢- ٦٢٦، ٦٣٦، ٦٣٧،محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص١٨٥، نورة بنت معجب الحامد: "الحجاج المغاربة في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري:الخدمات المقدمة لهم- مساهماتهم- انطباعاتهم"،مجلة الجمعية التاريخية السعودية، س ٩، ع ١٨، ٢٠٠٨،ص١٢٤.

[٩٨] وليد جميل:مرجع سابق، ص٢١٦.

[٩٩] محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص٣٢٩.

[١٠٠] ريزفان:مصدر سابق،ص١٥٦.

[١٠١] بوركهارت: مصدر سابق، ج١، ص١٤١.

[١٠٢] ليون روش: مصدر سابق، ص١٢١-١٢٢، ريزفان:مصدر سابق،ص٢٠٩، محمد صادق:مصدر سابق،ص٢٣٤، ٢٩٠.

[١٠٣] محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص٣٠٤.

[١٠٤] محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص٣٣١.

[١٠٥] مصدر سابق،

[١٠٦] روش: مصدر سابق،ص٥٦.

[١٠٧] مصدر سابق،ج١،ص٧٤٨-٧٤٩،عزة عبد الرحيم شاهين: خدمات الحج في الحجاز خلال العصر العثماني،دار القاهرة للنشر،القاهرة،٢٠٠٦،ص٢٦٧.

[١٠٨] عزة عبد الرحيم شاهين: مرجع سابق، ص٣١١.

قربهم[١٠٩]. وتم جلب الماء إلى جبل عرفات وتخزينها في أحواض طويلة مكشوفة مبنية ليستخدمها الحجاج في شتى الأغراض[١١٠]، يقول محمد صادق باشا "وبأسفل الجبل قناة عين زبيدة مبنية ومحيطة بثلاث من جهاته ولها فتحات تملأ منها أحواض بجانبها لشرب الحجاج"[١١١]. كما كان هناك عدد من السقاءين الذين يحملون القلل المملوءة بماء زمزم يطوفون بها على الحجاج ليشربوا منها أثناء تأدية المناسك[١١٢]. ورغبة في تسهيل عملية احتفاظ الحجاج بماء زمزم ونقله إلى بلادهم كان يتم صناعة جرار فخارية في أفران لإنتاجها وصل عددها خلال فترة البحث ١٢ فرناً بجانب جبل قبيص، وكانت قلة قليلة من الحجاج هم الذين يعودون إلى بلادهم وليس معهم جرار مليئة بماء زمزم[١١٣]. كما كان السقاؤون يقومون بإحضار الماء إلى منى لتوزيعها على الحجاج[١١٤].

خامساً: توفير الأطعمة واحتياجات الحجاج:

يذكر محمد صادق باشا[١١٥]. أن ميناء ينبع كانت تنتشر به في موسم الحج "سوق يباع بها كل شيء يلزم للحجاج ..وعند موسم الحج تأتي إليها العرب للتجارة وأما في غير أوان الحج فلا يوجد بها شيء وتصير كالخراب". تحولت مكة أثناء موسم الحج إلى بازار هائل ينتشر من أبواب الحرم في جميع الشوارع والأزقة، وكان يتم استيراد كميات كبيرة من المنتجات المعيشية من خلال قوافل الحجاج أو بالبواخر إلى جدة؛ لتلبية حاجات جموع الحجاج، فكان يتم جلب الحنطة والفول والشعير والذرة الصفراء والعدس والأرز والسكر وزيت الزيتون والعسل والبضائع الحريرية والفواكه المجففة، والسجاد والحصائر والعباءات والمواد العلاجية والبن والعقيق[١١٦]. وأثنى الرحالة على جهود رجال السلطة في توفير أنواع الأطعمة والطيبات وجعلها أمراً ميسوراً على الحجاج؛ حيث انتشرت بجوار المسعى محلات تباع فيها لحم الضأن المشوي وصنوف القشدة والفطير والحلوى والمهلبية[١١٧]،وكان بين مكة وعرفات سوق عظيم يخرج منه الحجاج بجميع المأكولات والمشروبات والأطعمة والفواكه[١١٨]. كما تنافس الحكام والأمراء والأثرياء في بناء التكايا بمكة إسهاماً منهم في تخفيف أعباء المعيشة على الحجاج والمعتمرين الذين تقصر بهم النفقة، ومن أبرزها التكية المصرية التي أسسها محمد علي في مكة عام ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م بشارع أجياد، بها ناظر ومستخدمون وبها أماكن ومخازن للغلال وطاحون ومطبخ متسع، وقد أسهمت بدور بارز في التكافل الاجتماعي من خلال توزيع الأطعمة والأشربة على الحجاج؛ حيث كان يُصرف لهم الخبز والقمح والأرز والسمن واللحم والحمص، وتطبخ فيها الشوربة صباحا وتفرق في كل يوم على نحو ٤٠٠ فأكثر من الفقراء مع الخبز[١١٩].

كما كان هناك ثماني تكيات أخرى بالمدينة المنورة قريبة من جبل أحد مبنية للخيرات منها التكية المصرية وكان ناظرها معين من مصر وبها مخازن وأفران ومطبخ والخزين اللازم لها يأتيها سنوياً، وفي موسم الحج يجتمع فيها كل يوم ما ينيف عن خمسمائة فقير[١٢٠].

سادساً: خدمة الطوافة:

تعد الطوافة من المهن التي ارتبطت بموسم الحج، حيث كان يقوم بعض الأفراد -وبعضهم من العلماء- أو كما سماهم بعض الرحالة "المرشدين في الأماكن المقدسة"[١٢١] بمهمة استقبال الحجيج ومصاحبتهم وإرشادهم لأداء المناسك خطوة بخطوة. وجرت العادة أن يرسل كل وكيل من وكلاء المطوفين إلى المطوف بمكة قائمة بأسماء الحجاج وعددهم قبل يوم واحد من تحرك الحجاج من جدة عن طريق

---

١٠٩ بوركهارت: مصدر سابق، ج١، ص١٥٣.

١١٠ ريزفان:مصدر سابق،ص١٥٦.

١١١ محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص٣٣٩.

١١٢ ليون روش: مصدر سابق، ص١١٦، ريزفان: مصدر سابق،ص٢٠٧،رامون مايراتا: مصدر سابق، ص٢٢٩.

١١٣ ريزفان : مصدر سابق، ص١٤٩-١٥٠.

١١٤ محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص٣٤٢.

١١٥ محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص٩٣.

١١٦ روش: مصدر سابق، ص١٤٣.

١١٧ بوركهارت: مصدر سابق، ج١، ص١٥٢،١٢٠.

١١٨ المكناسي:مصدر سابق،ص٢٦٥.

١١٩ محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص١٠٦، ٣٣٠، عزة شاهين:مرجع سابق،ص٢٤٠.

١٢٠ محمد صادق باشا:مصدر سابق،ص٣٨٩.

١٢١ بوركهارت: مصدر سابق، ج١، ص١٢٤.

البريد[١٢٢]. وكان هؤلاء المطوفون يؤدون كافة الخدمات للحاج منذ وصوله إلى الأراضي المقدسة دون مقابل، انطلاقاً من قناعة لديهم بأن الواجب عليهم إرشاد الغرباء إلى المناسك والعبادة وتعليمهم أداء مناسك الحج لوجه الله، إلا من طابت نفسه من الحجاج أن يعطي المطوف في آخر رحلته قدراً من المال وعادة ما يكون زهيداً[١٢٣]، ورغم ذلك فقد اجتهد هؤلاء المطوفون في أداء وظيفتهم على أكمل وجه فقام الواحد منهم بدور الدليل والحارس والمفتي والطبيب والصيدلي والممرض والدلال[١٢٤]، بل إن بعضهم كان يصحب الحجاج إلى صالونات الحلاقة لمتابعة عملية حلق الشعر، وكانوا يرددون لهم بعض الأدعية أثناء تلك العملية[١٢٥]..

كما رافق المطوفون الحجاج أثناء قيامهم بالذهاب إلى المزارات، وكانوا يقومون بعملية شرح تفصيلي لمعالمها وتاريخها وما ارتبط بها من أحداث، وكان يتم تخصيص مطوف لبعض الأجناس مثل مطوف الأكراد وتولى بعضهم مشيخة المطوفين، وقد توسع نطاق الطوافة في أواخر العصر العثماني وزاد عدد المطوفين، كما توسع أمراء مكة في توزيع البلاد الإسلامية بين المطوفين، فكان كل مطوف مسئولاً عن بلد، ثم تم إقرار رسوم على الحجاج لصالح المطوفين[١٢٦].وأشار بيرتون[١٢٧] إلى أن احتكاك المطوفين بالأجناس المختلفة جعلهم يتقنون بعض اللغات كالفارسية والتركية والهندوستانية.

سابعاً: توفير السكن:

يعتبر السكن أحد الخدمات المهمة التي يحتاجها الحاج أثناء تأدية الفريضة، فقد تم تأسيس عدد من الاستراحات والمقاهي بين المدينة المنورة ومكة وبين جدة ومكة اشتملت على أسرة من أجل راحة الحجاج أثناء سفرهم[١٢٨]، وأشار الرحالة إلى الدور التي كانت تُعد لاستقبال الحجاج[١٢٩]، وكان بعض السكان في مكة يؤجرون الغرف التي يعيشون فيها للحجاج ليعيشوا في فناء المنزل المكشوف[١٣٠].وقامت الأربطة بدورها في استقبال الحجاج؛ حيث كانت تحتوي على بيوت كثيرة جيدة جامعة لمرافق السكنى في كل بيت خابية للماء ومكان للخلاء والوضوء، أعدت لاستقبال قوافل الحجاج القادمة من مصر والشام واليمن[١٣١]. أما التكيات فهي بيوت الأوقاف التي تبرع بها الحجاج الأغنياء لاستعمالها مساكن للحجاج من أبناء جنسهم زمن الحج، وتشير المصادر إلى ثماني تكيات كانت مخصصة لاستقبال الحجاج الروس[١٣٢]. وكان الحرم الشريف فضلاً عن كونه مسجداً جامعاً وقاعة شاسعة للمحاضرات والدروس الدينية، مأوى شاسع لقضاء الليل يتوافد فيه مساء جميع الحجاج الذين لا مأوى لهم[١٣٣].

النتائج والمناقشة:

- اعتمدت الدراسة على عدد من كتابات الرحالة، ونظراً لصعوبة الإلمام بها جميعاً تم اختيار نماذج لرحالة من مصر وبلاد المغرب وبلاد الشام، ورحالة أتراك وفرس، ورحالة أجانب جاءوا إلى الحجاز متنكرين؛ لتحقيق أغراض سياسية[١٣٤].
- أسهمت الدولة السعودية الأولى بعد ضمها للحجاز في تسهيل العقبات التي كانت تواجه الحجاج وعلى رأسها المسألة الأمنية، حيث بث أنصارها جنودهم على طول الطرق المؤدية إلى الحجاز لنشر الأمن والتصدي لاعتداءات البدو واللصوص على قوافل الحج.

---

[١٢٢] أيوب صبري:مصدر سابق،ص١١٦٥.

[١٢٣] شكيب أرسلان:الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، صححه وعلق عليه:عبد الرزاق حسين كمال،مكتبة المعارف،الطائف،١٣٩٨هـ،ص١٢٢.

[١٢٤] السنوسي:مصدر سابق،ج٢،ص١٧١، ، ابراهيم رفعت: مصدر سابق،ج٢،ص٤٦.

[١٢٥] روش: مصدر سابق، ص٩٠، ٩٦.

[١٢٦] روش: مصدر سابق، ص ٦٠، ٦١، ١٠٣، ١٠٤، ١٢٦.

[١٢٧] محمد الشريف:مرجع سابق،ص٥٦٦.

[١٢٨] محمد صادق:مصدر سابق،ص٣٤٧، منى شاهين: مرجع سابق،ص ١٨١، ٢٤٢.

[١٢٩] المكناسي:مصدر سابق،ص٢٦٤، روش: مصدر سابق، ص١٠٦.

[١٣٠] بوركهارت: مصدر سابق، ج١، ص١٣٠

[١٣١] عزة شاهين:مرجع سابق،ص٢٤٢.

[١٣٢] ريزفان:مصدر سابق،ص١٤٤، ٢٠٦.

[١٣٣] ريزفان:مصدر سابق،ص١٨٦.

[١٣٤] تابع بهذا الخصوص:أسعد عيد:"الرحالة الغربيون في شبه الجزيرة العربية،أهدافهم وغاياتهم"،ضمن ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية،عبد الرحمن،عبدالله:" كتابات الرحالة الغربيين مصدرا لتاريخ الجزيرة العربية"،مجلة الدارة،ع١،س١٤٢٢،٢٧هـ،ص ص٢١-٤٨، زكريا،جمال "الدوافع السياسية لرحلات الأوربيين إلى نجد والحجاز في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين"،ضمن ندوة مصادر تاريخ الجزيرة العربية،ص ص ٩-٢٨.

- اثبتت الدراسة الاهتمام الكبير بقضايا استتباب الأمن وتأمين طريق الحجاج، لما لذلك من أثر بالغ على معظم خدمات الحج ومرافقه، من خلال المفاوضات مع رؤساء القبائل مقابل مساعدات مالية، وتعيين أمراء الحج لحماية القوافل، وإنشاء القلاع والحصون على طريق القوافل، وإن لم يمنع ذلك حدوث تعديات على الحجاج خاصة على الطريق بين مكة والمدينة.
- تعددت مظاهر الخدمات الصحية المقدمة للحاج، ففضلاً عن الاهتمام بالصحة الوقائية، تم إنشاء المراكز الصحية والمستشفيات، وإرسال الفرق الطبية في موسم الحج، وعقد المؤتمرات الصحية، بيد أنها ظلت إجراءات بسيطة لم تتناسب مع جموع الحجاج الغفيرة، ولم تتمكن من الصمود أمام الواقع الصحي المتردي، مما تسبب في انتشار العديد من الأمراض بين الحجاج.
- نالت عملية تدبير المياه بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة أهمية بالغة، ففضلاً عن الاعتناء بعين زبيدة والقيام باصلاحها، تم إنشاء عدد كبير من الصهاريج والبرك لتتجمع فيها مياه الأمطار، وجلبت منها جميعاً المياه إلى داخل مكة وإلى المشاعر عبر الأنابيب والقنوات الاصطناعية. كما تم إصلاح وتجديد الأسبلة القديمة وبناء أسبلة جديدة على الطرق المؤدية إلى مكة والمدينة، وفي أماكن أداء الشعائر مثل منى وعرفات ومزدلفة.
- تباينت مواقف الرحالة تجاه دور السلطة في توفير خدمات الحج والاعتناء بالمرافق، فبينما وقف الرحالة العرب منها موقفاً إيجابياً بحيث أشادوا بجهود السلطة في ذلك الجانب، نجد تحاملاً من بعض الرحالة الأجانب من خلال وصف إدارة الحج خلال فترة البحث بالفوضوية، مثال ذلك الرحالة بروش الذي ألح على المعاملة التي وصفها بالوحشية التي يتعرض لها الحجاج بالحجاز، وذهب إلى أنه لابد من تدخل حكومته لتحسين حالة الحجاج المسلمين الخاضعين لحماية فرنسا[١٣٥]، كما أنه وصف ضم الدولة السعودية الأولى للحجاز بأنه غزو غلفه الطمع بالكنوز المكدسة في حرمي مكة والمدينة[١٣٦] ، كما اتهم السلطات المشرفة على شؤون الحرمين الشريفين بالاستيلاء على مواردهما الضخمة وإنفاق القدر اليسير على العناية بهما مما أفضى "إلى قصور كبير في الخدمات"[١٣٧]،وعقد مقارنة بين الأماكن المقدسة النصرانية ونظيرتها الإسلامية فوصف الأخيرة بأنها " تعم فيها الفوضى جميع فروع الإدارات الإسلامية"[١٣٨]، كما أنه اتهم سكان مكة بأنه ليس لهم مورد رزق عدا استغلال الحجاج[١٣٩]. ولا شك أن كل هذه الأباطيل لا أساس لها من الصحة، وإنما سجلها ذلك الرحالة بهدف التشويه خدمة لأهداف أيدولوجية، وهو ما صرح به حين أكد أنه لم يأت إلى مكة لأداء فريضة الحج وإنما لتحقيق أغراض سياسية لصالح حكومته[١٤٠].

الخلاصة:

من خلال العرض السابق تبين مدى العناية والاهتمام بخدمات الحج ومرافقه أهمية من جانب العثمانيين ومن ناب عنهم في حكم الحجاز، ومن قبل حكام الدولة السعودية الأولى حين خضع لها الحجاز فترة من الزمن، وذلك من خلال تذليل ما يقابل الحجاج من مخاطر ومصاعب وتوفير الأمن لهم وتأمين سبل قوافل الحج بشتى الطرق والوسائل، وكيفية استقبال هذه القوافل وتنظيم عملية سيرها، وأمداها بكل ما تحتاج إليه من دعم مادي ومعنوي في سبيل أداء الفريضة، مثل تحقيق الرعاية الصحية وتوفير الخدمات الصحية، والخدمات العامة من مأكل ومشرب ومركب ومسكن.

التوصيات:

- تشجيع طلاب الدراسات العليا على دراسة تاريخ خدمات الحج ومرافقه عبر العصور الإسلامية المختلفة.
- عقد مؤتمر دولي حول تاريخ الحج عبر العصور.
- إنشاء مركز لتاريخ الحج والعمرة .
- إصدار مجلة علمية متخصصة في تاريخ الحج والعمرة.

---

[١٣٥] ليون روش: رحلته إلى الحجاز، ترجمة: محمد خير البقاعي، جداول،للنشر والتوزيع، بيروت،٢٠١١م ، ٥٧.

[١٣٦] روش: مصدر سابق ، ص٧١.

[١٣٧] روش: مصدر سابق ، ص٧٧.

[١٣٨] روش: مصدر سابق ، ص١١٢.

[١٣٩] روش: مصدر سابق ، ص١١٦، ١٢١.

[١٤٠] روش: مصدر سابق ، ص١٣٨.

مراجع البحث:

- أحمدون، عبدالخالق المفضل:"الرحلة الحجازية الصغرى لابي عبدالله محمد بن عبدالسلام بن ناصر الدرعي : قيمتها العلمية والتاريخية "،ضمن بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية (الرياض ٢٤-٢٧ رجب ١٤٢١هـ/ ٢١-٢٤ اكتوبر ٢٠٠٠ م).
- أرسلان، شكيب:الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، صححه وعلق عليه:عبد الرزاق حسين كمال،مكتبة المعارف،الطائف،١٣٩٨هـ،
- بوركهارت،جون لويس:ترحال في الجزيرة العربية،ترجمة:صبري حسن،المركز القومي للترجمة،القاهرة،٢٠٠٧م.
- بيرتون، ريتشارد: رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز،ترجمة وتعليق:عبد الرحمن عبدالله الشيخ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٩٤.
- جارشلي، اسماعيل حقي: أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني، البصرة، مركز دراسات الخليج العربي،١٩٨٥م.
- الجاسر، حمد:"في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج مع ابن عبد السلام الدرعي في رحلتيه"،مجلة العرب،ج٧-٨، س٩، محرم وصفر ١٣٩٥هـ.
- جميل، وليد محمد: مرافق الحج وخدماتها المدنية في عهد الملك عبد العزيز، فهرسة مكتبة الملك فهد،الرياض،١٤١٩هـ.
- الجوير، ابراهيم: دور الأمن في نهضة المجتمع من منظور علم الاجتماع وأحداث التاريخ"،ضمن كتاب الأمن العام وأثره في بناء الحضارة، المركز العربي للدراسات الأمنية،الرياض،١٤١٠هـ.
- الحامد، نورة بنت معجب: "الحجاج المغاربة في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري:الخدمات المقدمة لهم- مساهماتهم- انطباعاتهم"،مجلة الجمعية التاريخية السعودية، س ٩، ع ١٨، ٢٠٠٨
- حسني، حسين:مذكرات ضابط عثماني الأوضاع العامة في منطقة نجد، ترجمة وتعليق سهيل صابان، بيروت، مطبعة ألف،٢٠٠٣م.
- حمان، عبد الحفيظ:" الحياة العامة في بعض مدن الحجاز في بداية القرن التاسع عشر من خلال رحلة دومينجو باديا (علي باي العباسي)"، الدارة،العدد الثاني، ربيع الآخر ١٤٢٣هـ،السنة ٢٨.
- ديدييه، شارل: رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ترجمة: محمد خير البقاعي،دار الفيصل الثقافية، الرياض،٢٠٠١م.
- الردادي، سعد بن عودة:أمن الحج قبل العهد السعودي، دار المآثر، المدينة المنورة،٢٠٠١م.
- رفعت، ابراهيم: مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة،١٩٢٥م.
- الرشيدي، أحمد: حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحج، تحقيق: ليلى عبد اللطيف، مكتبة الخانجي، مصر،١٩٨٠.
- رفيع، محمد عمر:مكة في القرن الرابع عشر الهجري،نادي مكة الأدبي والثقافي،مكة،١٩٨١م.
- روش، ليون: رحلته إلى الحجاز، ترجمة: محمد خير البقاعي، جداول، للنشر والتوزيع، بيروت،٢٠١١م ، ص١١٢.
- الروقي، عايض بن خزام:" المنشآت الطبية في الحرمين الشريفين خلال العهد العثماني:دراسة تاريخية وثائقية"، الدارة، مج٢٢، ع٨٨، ٢٠٠٤م.
- عايض بن خزام الروقي:"المصادر العثمانية وأهميتها في دراسة تاريخ الجزيرة العربية"، الدارة،العدد٢ ،السنة ٢٣، ١٤١٨هـ.
- ريزفان، يفيم: الرحلة السرية للضابط الروسي عبد العزيز دولتشين إلى مكة المكرمة ١٨٩٨-١٨٩٩ ،دار التقريب بين المذاهب الإسلامية،بيروت،ط٢، ١٩٩٣م،ص١٥٠.
- الزياني، أبو القاسم: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، حققه وعلق عليه: عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة،الرباط،١٩٩١.
- السنوسي ،محمد :الرحلة الحجازية،تحقيق:علي الشنوفي،الشركة التونسية للتوزيع،تونس،١٩٨١.
- شاهين، عزة عبد الرحيم: خدمات الحج في الحجاز خلال العصر العثماني، دار القاهرة للنشر،القاهرة،٢٠٠٦.
- الشريف، محمد بن حسن:المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة، دار الأندلس الخضراء،جدة،٢٠٠٠.
- الشمري، خليف الصغير:جبل شمر في الرحلات الشرقية خلال العصر الحديث القسم الأول، نماذج من الرحلات الهندية والفارسية، الرياض، دار الثلوثية للنشر والتوزيع، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
- شهبندر، عبد الغني: رحلة الحجاز، بيروت،د.ن،١٩٣٧.
- صابان، سهيل: "مخصصات القبائل العربية من واقع الصرة العثمانية لعام ١١٩٢هـ/١٧٧٨م"،مجلة جامعة الملك سعود (العدد١٤٢٩، ٢٠هـ/٢٠٠٨م).
- صادق، محمد باشا: الرحلات الحجازية، بدر للنشر والتوزيع، بيروت،١٩٩٩م.

- صبري، أيوب باشا: موسوعة مرآة الحرمين الشريفين ،أشرف على ترجمتها :محمد حرب،دار الآفاق العربية،القاهرة،٢٠٠٤.
- صبري، أيوب باشا:مرآة جزيرة العرب،ترجمة وتعليق:أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسي، دار الآفاق العربية،القاهرة،١٩٩٩م
- العياشي، عبدالله بن محمد: الرحلة العياشية،تحقيق:سعيد الفاضلي وسليمان القرشي،دار السويدي للنشر والتوزيع،أبو ظبي،٢٠٠٦.
- مايراتا، رامون: علي باي العباسي مسيحي في مكة،ترجمة: رفعت عطفة،ورد للطباعة والنشر، دمشق،١٩٩٩.
- المكناسي، محمد بن عبد الوهاب:رحلة المكناسي ١٧٨٥م،تحقيق:محمد بوكبواط،دار السويدي للنشر والتوزيع،أبو ظبي،٢٠٠٣م.
- هوبير، شارل:رحلة في الجزيرة العربية الوسطى ١٨٧٨-١٨٨٢م، ترجمة إليسار سعادة، مطبعة ألف، بيروت، ٢٠٠٣م.
- يلدز، جولدن صاري:الحجر الصحي في الحجاز ١٨٦٥-١٩١٤م،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،الرياض،٢٠٠١